مناهج الترجمة الأدبية

ياسمينة بن برينيس
جامعة وهران 1
أحمد بن بلة - الجزائر -
btranslationoffice@yahoo.com

ملخص:
يقصد بالترجمة الحرفية، ذلك النوع من الترجمة الذي يتقيد فيها المترجم بحرفية النص المراد ترجمته مع مراعاة المعنى، إذ يجري نقل معاني الكلمات من اللغة الأصلية إلى اللغة المترجم إليها وبنفس الترتيب الذي ترد فيه في اللغة الأصلية. إنها ترجمة مباشرة تحاول أن تكون أمينة في نقل المعاني التي يقصدها مؤلف النص الأصلي، وتحافظ على الشكل اللغوي الأصلي إلى حد كبير.

ولئن أقر العديد من الباحثين أن الترجمة الحرفية هي عملية غير ممكنة، باعتبار أن الكلمات في اللغات المختلفة لا تتشابه في معناها ودلالاتها، فإنهم يلحون على ضرورة الاعتماد على الترجمة المعنوية القائمة على التفسير وصياغة الأفكار. فهم يرون أن دور اللغة ما هو سوى دور ثانوي بوصفها وسيلة فقط لنقل الأفكار. وعليه، ينبغي أن تنصب الترجمة على المعنى وليس الكلمة.- يمكننا أن نميز بين عدة مواقف تجاه النص الأدبي، نذكر منها:الموقف الذي يرى أن النص في اللغة الأصلية هو الذي يحدد شكل النص ومفرداته وصوره في اللغة المستقبلة، والموقف الذي يرى أن الفعالية الأدبية في النص المترجم أساسية، بمعنى أن الشكل والمفردات يجب أن تعدل بحيث تلبي مقتضيات اللغة المستقبلة. وفي الحقيقة، إن

المنظرين قد اقترحوا عدة مناهج لترجمة النصوص الأدبية، نذكر منها المنهج اللغوي والمنهج اللساني - الثقافي والمنهج التأويلي.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الحرفية - أنواع النصوص - اللسانيات - مناهج - تقنيات - تكييف.

Abstract:

When translating any text the translator's first question lies on the kind of translation he's going to deal with, his hesitation will balance between translating literally, emphasing on meaning or closest possible one in meaning.

Literal translation may be the first approach in the translator's work, bearing in mind the importance of ideas suggested indirectly in words, after combining between his sentences and expressions coherently combining both. So many issues would be raised for only one goal which is to achieve understanding through the in an artistic way so that it makes the receiver's understanding smooth.

Regarding literary texts, researchers are split intwo: those who think that SL text determines the text's form, structures and images of that in the TL. Thus the translator must be faithful as much as possible. Whereas others see that the literary effectiveness is essential, i.e. the form and words should be amended so that they fill the language needs. In other words translation should keep the same effectiveness found in the SL so that it produces the same impact on the reader.

In fact translation theories suggest different methods for translating literary texts a balance between sociolinguistics, language and interpreting.

Keys words: Literal Translation - Text Types - Linguistics - Methods - Technics - Adapting.

من حق المترجم أن يتساءل، وهو يتعامل مع نصوصه، عن أي نوع من الترجمة يلتجئ إليها: هل يعتمد على الترجمة الحرفية ؟ أم يؤثر الترجمة المعنوية؟ وأي نوع منهما أقدر على تحقيق مفهوم الأمانة ؟

والمقصود بالترجمة الحرفية، ذلك النوع من الترجمة الذي يتقيد فيها المترجم بحرفية النص المراد ترجمته مع مراعاة المعنى، إذ يجري نقل معاني الكلمات من اللغة الأصلية إلى اللغة المترجم إليها وبنفس الترتيب الذي ترد فيه في اللغة الأصلية. إنها ترجمة مباشرة تحاول أن تكون أمينة في نقل المعاني التي يقصدها مؤلف النص الأصلي، وتحافظ على الشكل اللغوي الأصلي إلى حد كبير. لقد رفض العديد من المترجمين هذا النوع من الترجمة منذ الأزمنة الغابرة، فلقد رفضها مثلا هوراس في كتابه "فن الشعر" (القرن الثالث قبل الميلاد) معتبرا إياها سمة من سمات المترجم الضعيف. ورفضها أيضا العديد من النقاد في القرون الوسطى منتقدين بشدة المترجمين المسيحيين الأوائل الذين ترجموا النص المقدس بحرفية فجاءت ترجماتهم ركيكة ملتصقة بالنص الأصلي.

وقد يلجأ المترجم إلى ترجمة حرفية بمفهومها الضيق، فيتقيد بالحرف ويتجاهل المعنى، فتأتي ترجمته ركيكة من حيث

السبك وخاطئة من حيث المعنى. وهذه الترجمة هي التي يرفضها العديد من الدارسين والمترجمين باعتبار أن الكلمات في لغة المصدر لا تؤدي نفس المعنى في اللغة الهدف.

ومن الممكن أن يمثل هذا النوع من الترجمة الخطوة الأولى في عمل المترجم، شريطة أن يراعي أهمية الأفكار التي توحي بها الكلمات بصورة غير مباشرة، وشريطة أيضا أن ينسق بين جمله وعباراته بدقة بعد أن يصوغها صياغة فنية جميلة يفهمها المتلقي بسهولة.

ولئن أقر العديد من الباحثين أن الترجمة الحرفية هي عملية غير ممكنة، باعتبار أن الكلمات في اللغات المختلفة لا تتشابه في معناها ودلالاتها فإنهم يلحون على ضرورة الاعتماد على الترجمة المعنوية القائمة على التفسير وصياغة الأفكار. فهم يرون أن دور اللغة ما هو سوى دور ثانوي بوصفها وسيلة فقط لنقل الأفكار وعليه ينبغي أن تنصب الترجمة على المعنى وليس الكلمة - يمكننا أن نميز بين عدة مواقف تجاه النص الأدبي، نذكر منها:

- الموقف الذي يرى أن النص في اللغة الأصلية هو الذي يحدد شكل النص ومفرداته وصوره في اللغة المستقبلة. وبهذا عليه أن يكون أمينا قدر المستطاع. وقد وصل هذا الموقف إلى ذروته من خلال آراء المترجمين الحرفيين.

- الموقف الذي يرى أن الفعالية الأدبية في النص المترجم أساسية، بمعنى أن الشكل والمفردات يجب أن تعدل بحيث تلبي مقتضيات اللغة المستقبلة. ويرى هذا الموقف باختصار أن الترجمة يجب أن تتمتع بالفعالية ذاتها في النص الأصلي وتحدث التأثير نفسه في القارئ.

وفي الحقيقة فإن المنظرين قد اقترحوا عدة مناهج لترجمة النصوص الأدبية، نذكر منها:

- المنهج اللغوي.
- المنهج اللساني - الثقافي.
- المنهج التأويلي.

1) المنهج اللغوي:

إن العديد من الباحثين اللغويين دعوا إلى استعمال الترجمة الحرفية، مركزين بشكل أساسي على الجوانب الشكلية للغة. في الحقيقة، إن مبدأ الترجمة الحرفية (كلمة بكلمة وجملة بجملة) كان مصدره احترام النصوص المقدسة أثناء نقلها من لغة إلى لغة أخرى، عدم خيانة الكلمة الإلهية واحترام الشكل إلى درجة الحرفية. فما يريدونه من هذا النوع من الترجمة هو تقيد المترجم بحرفية النص المراد نقله مع مراعاة المعنى أي: أن يجري نقل معاني الكلمات من اللغة الأصلية إلى اللغة المترجم إليها وبنفس الأبنية اللغوية الأصلية إلى أبنية مشابهة في اللغة المترجم إليها. فهم (اللغويون) يريدون أن تكون الترجمة أمينة في نقل المعني الذي يقصده المؤلف الأصلي على أن تحافظ على الشكل اللغوي الأصلي إلى حد كبير.

ويعد أنصار الترجمة القواعدية من الذين ألحوا بشدة على ضرورة التقيد بالترجمة الحرفية. ولعل من الملامح المميزة لمنهجهم هو ارتباط الترجمة بالنقل القواعدي. وهذا يعني أنهم ينظرون إلى اللغة على أنها قواعد وإلى الترجمة على أنها ليست أكثر من استبدال القواعد والمفردات في لغة بقواعد ومفردات في لغة أخرى ... فهم يفترضون بأن اللغة هي نظام رمزي في بنية محددة ويعتقدون أن الترجمة هي تحويل رمز برمز آخر

وأن المترجم يعمل على مستوى اللغة (langue) وليس الكلام (Parole)، معتقدين أن وحدة اللغة هي إما الكلمة أو الجملة.

ويعد كاتفورد Catford من المنظرين الذين دعوا إلى استبدال قواعد ومفردات اللغة الأصل بما يكافئها من قواعد ومفردات في اللغة الهدف مع استبدال أصوات وكلمات اللغة المصدر. ولقد حلل بدقة في كتابه "نظرية لغوية في الترجمة" المبدأ اللغوي الشكلي، معطيا الأولوية للتطابق الشكلي على التكافؤ النصي. ومن المعروف أن هذا المنظر اللغوي قد اقترح أربعة أنواع من الترجمات على أساس المستويات اللغوية الأربعة: الصوتية والكتابية والقواعدية والمعجمية.

ومن الملاحظ أن العديد من الباحثين قد أولوا أهمية للنقل اللغوي في العملية الترجية أي: التركيز على نقل الكلمات والتعابير، والواقع أن الترجمة نشاط فكري بالدرجة الأولى وأن المفردات والتعابير قابلة للترجمة بشكل مقبول في كثير من الأحوال، ولكنها تستعصي في أحوال كثيرة أخرى. وهذا يعني أن نقل النص من لغة إلى أخرى لا يمكن أن يتحقق بسهولة في النصوص الأدبية ذات الصبغة الثقافية، الأمر الذي يستلزم إجراء عدد من التكييفات في النص على حساب التطابق الشكلي، باعتبار أن التمسك بالكلمات وحدها يقضي على روح النص الأصلي. ألم نشر من قبل إلى أن الهدف من الترجمة الأدبية لا يتمثل مطلقا في ترجمة النص حرفيا وإنما في نقل المضامين والأحاسيس والرموز والصور التي يحملها وبعبارة أخرى: إن المعنى في النص لا يكمن في الألفاظ وإنما خارج الألفاظ.

ويبدو أن المنهج القواعدي الذي يستند أساسا إلى الترجمة الحرفية لا يصلح إلا للمبتدئين الذين يتدربون على الترجمة ... أما بالنسبة لمترجمي النصوص الأدبية فهو

منهج غير قادر على تلبية "الأمانة المرغوبة". فهو لا يؤدي إلى مخاطر عديدة تتمثل في الانحراف بالمعنى عن وجهته في اللغة الأصلية وإنما يوقع أصحابه في أخطاء أخرى تشوش النص وتخلخله (مثل عدم الاكتراث بالسياق الذي ترد فيه الكلمات).

وفي الحقيقة فإن اللغويين قد اقترحوا مناهج أخرى لترجمة النصوص الأدبية وغير الأدبية. فلقد طوروا النظرة إلى الأدب على أساس وجوب النظر في مختلف العلاقات المساهمة في إنجاز النص الأدبي؛ أي المتكلم والخطاب والسامع ... ولقد رفض العديد منهم النظر إلى هذا الأدب على أساس الملفوظ فحسب (أي على أساس مقومات النص الداخلية) بل دعوا إلى ضرورة دراسة عملية التلفظ (Enonciation) باعتبار أن كل نص أدبي يندرج في إطار زماني ومكاني محدد، وهو عمل ينجزه متكلم في سياق معلوم ويتواصل به مع سامع يتصف بصفات معينة.

وبهذا المفهوم تتحول ترجمة النص الأدبي إلى عملية معقدة، إذ لم تعد قراءة بسيطة تكتفي بنقل المفردات والعبارات فحسب، وإنما جملة من القراءات الممكنة، عملية تخضع لما يخضع له التواصل اللغوي عامة، أي قائمة على ثلاثة أطراف متداخلة هي: المترجم والمتلقي والنص البلاغي.

ومن المعروف أن اللغويين قد اقترحوا عدة تقنيات لترجمة النصوص الأدبية مقترحين حلولا ناجعة من أجل تقنين إجراءات العملية الترجمية. فهذا كاتفورد يتجاوز الجوانب الشكلية للغة معلنا صورة الاهتمام بالبعد الثقافي للنص. وذاك ياكوبسون يدعو إلى ضرورة تحويل الجمل

والعبارات إلى فكرة ومن ثم نقلها إلى اللغة الهدف بتوليد العبارات المناسبة لها - يصنف ياكوبسون النصوص إلى ثلاثة أقسام: التعبيرية والإخبارية والتوجيهية ويضم النوع الأول النصوص الأدبية والخطابية والكتابات الشخصية، ويضم الثاني النصوص الصحفية والإعلامية والعلمية بينما يضم النوع الثالث الإعلانات والتعليمات والقوانين.

ويدعو ياكوبسون المترجم إلى الاعتناء بتحليل رموز النص الأصلي الذي سيقوم بترجمته ليتمكن من فهمه، ثم يقوم في مرحلة ثانية بتحويل هذه الرموز بواسطة عملية النقل إلى النص الهدف، وذلك لاختيار الرموز المكافئة التي تنقل مفهوم الرسالة وتعيد صياغتها بأسلوب اللغة الهدف. ويجب نقل الفكرة بصيغتها الجوهرية وتوليد التعبير المطابق لها في اللغة الهدف.

فكل نص أدبي في رأيه يقدم رؤيته الخاصة للعالم وإدراكه الخاص للواقع الذي يريد تصويره ... لهذا السبب نراه يقف عند الإيحاءات المختلفة التي يؤديها النص الأدبي في مكوناته الشكلية المختلفة من صوتية وأدائية، محللا شعريته التي تثير انفعالات المتلقي، مستنتجا أن الترجمة مرتبطة بقناعات مختلفة تتوقف على زوايا تسمح بتحديد مكونات الشكل والشعرية من جهة وما ينطوي تحتها من أساليب إجرائية، ومن جهة أخرى إعطاء ما للمعنى من أبعاد متنوعة.

2) المنهج اللساني الثقافي:

يختلف هذا المنهج على السابق من حيث إنه يهتم بالجوانب المعنوية للغة، التي تحددها الظروف الثقافية فهو يستند أساسا إلى النظرية التي تعرف المعنى حسب أطره وحقوله

الثقافية. وعليه تصبح اللغة هي الثقافة والترجمة هي الوصف والشرح لرؤية شعب ما لشعب آخر.

ومن المعروف أن هذا المنهج الذي يدعو أصحابه إلى تعويض نظام ثقافي بآخر يستند إلى فرضية "نسبية اللغات" التي وضعها سابير وبينجامين في مطلع القرن الماضي والتي تقول بأن اللغة لا تقدم وسائل الاتصال لمحدثيها فحسب وإنما تحدد لهم (المتحدثون) أيضا الطريقة حول كيفية النظر إلى العالم. وهكذا، وعلى عكس المنهج القواعدي الذي يهتم بالجوانب القواعدية للغة، فإن أصحاب المنهج الثقافي يواجهون المعنى بشكل مباشر، معتقدين بأن معاني الكلمات محصورة بالثقافة أساسا، ولا يمكن فصله عن اللغة ذاتها.

ويعد أوجين نيدا الذي تخصص في ترجمة النص المقدس من الرواد الأوائل الذين دعوا إلى ضرورة توظيف هذا المنهج في الترجمة. ومن المعلوم أن هذا المنظر قد استثمر نظرية تشومسكي (Chomsky) التوليدية التحويلية في الترجمة مدعيا أن القواعد التوليدية هي أكثر الطرق فعالية للتصدي لمشاكل الترجمة. ومن المعروف أيضا انه قسم الترجمة إلى نوعين: ترجمة المبنى وترجمة المعنى أو الترجمة الشكلية أو الترجمة التأثيرية...

تقوم الترجمة الشكلية على عدة عناصر أهمها الوحدات اللغوية والوحدات النحوية. ويراعى المترجم فيها ترجمة الأسماء بالأسماء والأفعال بالأفعال ومتابعة الجمل خطوة خطوة، وترجمتها كاملة غير منقوصة والمحافظة على كل العلامات الشكلية من نقط وفواصل وتقسيم الفقرات. أما الترجمة التأثيرية (أو ترجمة المعنى) فإنها على تعبير نيدا أقرب مقابل طبيعي للبلاغ في لغة الأصل وهي ترتكز أساسا على لغة الأصل لأنها هي المرجع.

ومن الواضح أن نيدا قد ميز بشكل ملموس بين التأثير المتطابق في اللغتين المترجم منها وإليها عن طريق الترجمة التأثيرية والتطابق الشكلي بين اللغتين، مفضلا الطريقة الأولى عن الثانية، بوصفها قادرة على إيصال معاني النص ومغازيه وتقريبها من مدارك القراء. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الباحث قد أكد، في عدة مناسبات، على أن الترجمة هي عملية معرفية تصاحب في الأغلب الأعم الملابسات الداخلية والخارجية لواقع الثقافة. ولما كانت اللغة لا تستطيع أن تنسلخ كلية عن المجتمع بات من الضروري اعتبارها الثقافة عينها، إذ أن الحديث عن الثقافة هو حديث عن اللغة والعكس صحيح أيضا. ومن هذا المنطلق يعتبر هذا المنظر الترجمة عملية اتصال بين واقع الثقافات.

ويمكن تلخيص منهج نيدا في الترجمة في العناصر التالية:

أ- أن يحول النص الأصلي إلى أبسط أشكاله بنية وتركيبا وأوضحه معنى.
ب- أن يحول المعنى من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف على مستوى تركيبي بسيط.
ج- أن يولد التعبير المتكافئ في الأسلوب والمعنى في اللغة الهدف.

من الواضح، إذن، أن منهج نيدا يتألف من عدة مبادئ أهمها: التحليل ونقل البنية العميقة، ثم إعادة التركيب (أو البناء والفحص) أي التعرف على الجمل الجوهرية النموذجية كونها مرحلة انتقالية بين بنى اللغة المصدر واللغة الهدف وذلك لشرح عملية الترجمة.

ويتألف التحليل عند نيدا بصورة أساسية من التحويل العكسي إلى أقرب مستوى جملة جوهرية، وفي هذه المرحلة ينبغي أن يدرس نص اللغة المصدر بحرص بهدف استخلاص المعنى ويقترح نيدا عدة مراحل للتحليل على الرغم من أن هناك تداخلا فيما بينها من الناحية العملية. وهذه المراحل هي:

- الجوانب اللفظية القواعدية للوحدات.
- السياق لغة الخطاب.
- السياق الاتصالي.
- السياق الثقافي للغة المصدر.

فبعد تحليل نص اللغة المصدر إلى جملها الجوهرية الأساسية تنقل نتيجة التحليل في اللغة الهدف. وهذه المرحلة ليست بسيطة وذلك لأن في الممارسة العملية يحدث نقل الرسائل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف على عدة مستويات تحت سطحية، ويعتمد ذلك على الدرجة التي تمتلك فيها اللغتان تراكيب معنوية ونحوية متطابقة. ففي مرحلة التحويل، ينتقل المترجم بشكل آلي ما بين مرحلة التحليل ومرحلة إعادة الصياغة والتركيب، أي أنه ليس هناك أي تقسيم واضح بين تلك المراحل أثناء العملية الترجمية.

ويؤكد نيدا على ضرورة حفظ معنى رسالة النص المصدر معتبرا أن التحويل ليس مجرد نقل الجمل المنفردة مفككة بل إن هناك نقطة حاصلة تتصل فيها هذه الجمل (KERNELS)، وبعبارة أخرى: ينبغي بعد تحليل المكونات الأساسية إلى أبسط علاقاتها ضمن جمل جوهرية الرجوع إلى النقطة التي تربط فيها هذه الجمل مع بعض بحرص شديد. وفي هذه المرحلة يجب على المترجم أن يعير انتباهه إلى الاختلاف ما بين اللغتين

المعنيتين فيما يتعلق بصيغة الفعل وأقسام الكلام وأحرف العطف.

ويرى نيدا أن المكافئ الديناميكي وليس التطابق الشكلي هو الذي يجب أن يكون موضع الانتباه والاهتمام. ويعتقد هذا المنظر أن الترجمات الجيدة تأتي أطول بعض الشيء من النصوص الأصلية، ناسبا الإطناب اللغوي والثقافي إلى رغبة المثقفين في تضمين كل المعلومات الموجودة في النص الأصلي. فهو يؤمن بأن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بين اللغات، وأن أي شيء يمكن قوله في لغة ما يجوز قوله في لغة أخرى. ووفقا لهذا المبدأ فإن النتاج النهائي ليس هو خلق رسالة أخرى بل خلق رسالة مكافئة للرسالة الأصل، رسالة قادرة على التأثير في متلقيها بطريقة مكافئة لما فعل نص اللغة المصدر بقارئه.

ولا بأس أن نشير، هنا، إلى جهود بيتر نيومارك الذي بنى آراءه على استنتاجات نيدا. فلقد اقترح هذا المنظر نوعين من الترجمة أحدهما دلالي يقوم على النحو والإعراب متقيدا بالأصل، والثاني تبليغي هدفه الإفهام والتأثير على المتلقي. ومن المعروف أنه بذل جهدا كبيرا في تشخيص بعض المشاكل التي يعاني منها المترجمون وأورد أنواعا مختلفة من الترجمة وتعمق في أصول الترجمة الحرفية ومناهجها ودرجاتها ووازن بينها وبين الطرائف الأخرى المتفاوتة في الدقة والأمانة، مثل الترجمة المعنوية أو الترجمة التي تجمع بين الحرية والتصرف. ومن المعروف أيضا أن هذا المنظر قد حلل بإسهاب العناصر الثلاثة التي ينبغي أن يهتم بها المترجم وهي: وظيفة النص الأصلي والبعد الثقافي والاجتماعي في النص وأخيرا متلقي النص المترجم.

3) المنهج التأويلي:

تعد المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين "ESIT" التابعة لجامعة الصوربون الجديدة بباريس من المدارس التي تنادي بالنظرية التأويلية للترجمة، مؤكدة على أن "كل ترجمة تأويل". فهي ترى أن الترجمة عملية تفسير وإعادة صياغة للأفكار أكثر مما هي تحويل للكلمات، وبالتالي فلا شيء مستحيل في الترجمة، لأن الكلمات كفيلات بنقل الأفكار، يبقى فقط أن نحترم المعنى وأن لا نحمل التركيب من الألفاظ أكثر مما يقتضيه المقام أو التبليغ إذ إن الغرض المنشود ومقاربة الأصل شكلا ومضمونا لدرجة التعادل في الأثر الحاصل في الذهن من قراءة النص في لغة الأصل ولغة النقل، لوجود المعادلات (équivalences) على مستوى اللفظ والفكرة والجملة، وهذا للدقة في انتقاء الألفاظ التي تكسو المعاني كسوتها في الأصل المنقول.

ولا يشك أحد في أن مدرسة باريس قد أدت دورا كبيرا في شأن التنظير للترجمة الأدبية واقتراح مناهج مناسبة لها، فهي تضم مجموعة من الباحثين لهم أعمال مرموقة وتحاول أن تبرهن على أن النظرية الحقيقية للترجمة يجب أن تتكامل مع النظرية العامة للكلام وبالتالي لا يمكن أن تكون مجرد امتداد لنظرية لغوية محطة ترمي إلى وصف اللغة - النظام. وعلى نقيض المنهج اللغوي، فإن هذه المدرسة تتبع منهجا استدلاليا مبنيا على تحليل المعنى حسب ما يتبين من الكلام. فروادها يعتقدون أن الترجمة الحرفية غير ممكنة لأن الكلمات في اللغات المختلفة لا تتشابه في معناها ودلالاتها وأن العديد من الكلمات في اللغة الواحدة ترتبط بروابط محلية وثقافية تميزها من حيث الدلالة والمعنى، وهم يؤكدون على أن اللغة هي قبل كل شيء وسيلة لنقل الأفكار. وعليه، فإن الترجمة للمعنى وليس للكلمات وأن النصوص الأدبية

تحتاج إلى ترجمة دلالية تأويلية لأنها تتضمن الاستعارات والمجازات والجناسات اللفظية. وفضلا عن ذلك نراهم يدعون إلى ضرورة الأثر الفني في العمل المترجم باعتبار أن هدف المترجم ينحصر أساسا في نقل هذا الأثر الفعال. تقول ماريان لدرير "Marianne Lederer":

« Défini de façon sommaire, l'acte de traduire consiste à « comprendre » un « texte », puis, en une deuxième étape, à « réexprimer » ce « texte » dans une autre langue. Chacune des opérations désignées par ce mot mérite une étude en soi, car elles sont d'une complexité considérable la « compréhension » fait intervenir des connaissances «linguistiques et extra- linguistiques. La qualité de la « réexpression » dépend du degré de connaissance de la langue d'arrivée, du talent avec lequel le traducteur manie la plume; elle est également tributaire de sa connaissance du sujet. Avant toute chose cependant, il faut examiner le troisième terme mérite en effet d'être défini en premier car les opérations de compréhension et de réexpression sont fonction du contenu donné au mot « texte » … ».

لقد أشار العديد من رواد هذه المدرسة إلى أن الترجمة اتصال وتواصل يسعى إلى تحقيق نفس المفعول الموجود في اللغة المصدر على المتلقي في اللغة الهدف، فهم يعتقدون أن المعنى في النص يكمن خارج الألفاظ، أي أنه يرتبط بآليات تجمع بين اللغة والكيان الاجتماعي والحضاري. لهذا السبب نراهم يطالبون المترجم بمراعاة مصدر النص وطبيعة الجمهور الذي سيتوجه إليه. وهذا الكلام يعني أن المترجم

الأدبي مطالب بالفهم والأمانة والأصالة. فهو قارئ ومبدع، من واجبه احتواء النص المصدر من أجل إعادة خلقه وبعثه.

4) اقتراح منهج لترجمة نص أدبي:

أ) قراءة النص:

تبدأ عملية الترجمة باستيعاب الفكرة الموجودة في النص، فيبدأ المترجم بقراءة النص الذي يريد ترجمته بإمعان، وفهم الفكرة التي يهدف إليها الكاتب، وتحديد أسلوبه وطريقته في التعبير، وطبيعة الجمل والكلمات المستعلمة فيه.

وقد يحتاج المترجم لفهم النص إلى الاستعانة بالمعاجم اللغوية المختلفة، الأحادية اللغة والثنائية العامة منها والمتخصصة، إضافة إلى الاستعانة بالمراجع العامة والموسوعات التي تساعده على فهم الموضوع أو الفكرة التي يريد ترجمتها. ولكنه ينبغي أن يدرك أن المعنى الحقيقي للكلمة لا يكمن في المعجم وإنما ينتج من خلال السياق الذي تقع فيه المفردات، وبالتالي فإن المعنى المعجمي للكلمة قد يختلف عن معنى الكلمة في السياق وينبغي أيضا أن يتمكن من فهم وتفسير مظاهر النص اللغوية والدلالية بالشكل الصحيح أي: أن يكون قادرا على التعرف على طبيعة النص وطريقة بنائه وتركيبه وتقسيمه إلى وحدات مترابطة، إضافة إلى قدرته على فهم الإيحاءات والدلالات والرموز والمظاهر الأسلوبية المختلفة: فكلما كان النص أكثر ثراء من الناحية الأدبية، كلما ازدادت الحاجة إلى دراسته بصورة أكثر دقة وتفصيلا، واستيعاب مظاهره اللغوية والأسلوبية.

وخلاصة القول إن هذه المرحلة الأولى تتطلب مقاربة استنباطية للنص المستهدف؛ إذ يجب استحضار العالم السيكو-عقلي للكاتب عند تجربته لفعل الكتابة أو إحساسه ووعيه بما يرويه، ومن جهة أخرى الإحاطة بعالم النص السوسيو ثقافي أي المعطيات الثقافية والاجتماعية التي ساهمت في فرزه.

ب) تحقيق النص:

بعد مرحلة القراءة والفهم، يحتاج المترجم إلى تحديد الجوانب التي تتطابق بحثا وتحقيقا حتى يتمكن في الشروع في عملية الترجمة. ويجب أن يعلم أنه لا يترجم الكلمات أو التراكيب التي يتكون منها النص وإنما المعنى الموجود فيها والذي ينتج من خلال السياق الذي ترد فيه الكلمات. ويجب أيضا أن يتمكن من حل الإشكاليات الخاصة بالكلمات الثقافية والأمثال والحكم. ولعل هذه المرحلة، (البحث والتحقيق) تمكنه من تحديد المشاكل المختلفة ومعالجتها على انفراد قبل الشروع في عملية الترجمة فهو مطالب بالإحاطة بكافة جوانب الموضوع الذي بين يديه، سواء منها ما يتناوله النص بصريح العبارة، أو ما يتعين البحث عنه "بين ثنايا السطور" واستخلاصه من رصيده المعرفي والثقافي.

ويقترح الباحث عبد الله عميد الاخيارات التالية التي يتعين على المترجم أن يبث فيها قبل قيامه بعملية الترجمة:

- تحديد موقفه من النص الأصلي ومؤلفه ومصدره.
- موقفه من القراء المستهدفين بالنص المترجم.
- كيفية تأويل بعض مقاصد النص غير المعلنة صراحة وأسلوب نقل هذه المقاصد.
- الزمان والمكان: نص قديم أم حديث ؟ كتب في زمن الحرب أم السلم ؟ داخل البلد أم خارجه ؟

- طبيعة النص: يتناول أمورا حسية ملموسة أم قضايا تجريبية، سردي، وصفي، أم أنه يشمل على شيء من هذا وذلك ؟
- تركيب النص: جمل طويلة أم قصيرة، مدى الترابط بين فقراته وفصوله.
- المستوى اللفظي: ألفاظ غير مألوفة، شائعة، مهجورة، شاعرية.
مستوى الأسلوب: ساخر، ملئ بالمجاز والمحسنات البديعية، واقعي، رومانسي.

إن المترجم الذي يتصدى لترجمة المؤلفات الأدبية لابد أن يولي الجوانب الفنية والجمالية المزيد من العناية، بل ويضعها في المقام الأول أحيانا... فهو يسعى إلى إعادة إبداع النص الأصلي بفضل موهبته في الكتابة أصلا وبما يملكه من وسائل التعبير في لغة النقل مراعيا في ذلك أذواق قرائه ...

ج) الترجمة الأولية:

وهي المرحلة التي تلي مرحلة فهم النص في لغته الأصلية فهما صحيحا كاملة. وفيها يشرع المترجم في نقل المعنى إلى لغة الهدف بأسلوب السياق الذي ورد فيه وبلغة سهلة وواضحة. وقد تواجهه صعوبات في اختيار المفردات المناسبة للتعبير عن المعنى المطلوب بأسلوب يشبه أسلوب النص الأصلي أو في اختيار التراكيب المناسبة ومدى وضوحها وانسجامها في اللغة الهدف. وهذا، لابد أن يبدي مرونة من أجل البحث عن المعنى الذي يتناسب مع النص، موزعا اهتمامه بين مضمون النص وأسلوبه.

وينبغي أن يكون المترجم دقيقا في عمله أن يطلع على النص بأكمله، ثم يختار الفقرة الأولى ثم يبدأ بترجمة

الجملة الأولى ويبدو أن إعادة النظر في تحرير الفقرات أمر ضروري لا مفر منه، ذلك أن وجود العبارات أو الكلمات التي تتميز بطابع ثقافي أو مجازي في النص قد يؤدي إلى صياغة النص بطريقة خاطئة. ولا بأس أن تسبك العبارات بأسلوب مشابه قدر الإمكان لأسلوب النص الأصلي حتى تظهر القطعة المترجمة بنفس روح القطعة الأصلية.

تمكن مرحلة المراجعة المترجم من اكتشاف الأخطاء التي يكون قد ارتكبها بغير انتباه وهي تساعده على خلق الانسجام والترابط بين وحدات النص لكي تصبح أكثر دقة وأمانة، وأكثر سهولة في القراءة دون أن يفقد النص معناه.

ومن المفضل أن يقوم مترجم آخر بمراجعة النص، وخاصة من الذين لهم خبرة في الميدان. ويبدو أن هذه الوسيلة (الاستعانة بمترجم آخر) هي أفضل الوسائل لاكتشاف الأخطاء في النص المترجم. وإذا لم يتمكن المترجم من العثور على شخص آخر لمراجعة عمله، لا بأس أن يترك النص فترة من الزمن ثم يعود إلى قراءته بروح جدية من أجل اكتشاف مفاصل الخلل وجوانب الضعف الموجودة فيه.

ولابد من الإشارة، هنا، إلى أن المترجم الأدبي مطالب بالفهم والأمانة والأصالة. فهو قارئ أولا ومبدع ثانيا ينبغي عليه احتواء النص المصدر بإعادة خلقه وترميزه. فالمسألة، بالنسبة إليه، ليست اكتشاف معاني يجهلها بل اكتشاف وسيلة للتعبير عن هذه المعاني في لغته الأم. فهو يستقبل المادة اللسانية ثم يحولها إلى مادة لسانية أخرى بمراعاة قيمتها الإنسانية والجمالية، أي أنه مطالب بإعادة كتابة النص الأصلي في صياغة جديدة بدون أي تشويه أو تحريف.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن عملية الترجمة عملية مركبة تتداخل فيها مجموعة من الفعاليات المترابطة التي يصعب التفريق بينها. فالمترجم مطالب في مرحلة المراجعة بأن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة اللغة التي ينقل عنها من حيث قواعدها ونظامها، وطبيعة الأشياء والأحداث التي يشير إليها النص، ثم يتأكد بدقة من تسلسل الأفكار وترابطها موليا اهتماما بمشاعر الكاتب وأحاسيسه ومدى قدرتها على الظهور بأسلوبها المميز.

هـ) تنقيح النص وتدقيقه:

إن المترجم ومن أجل القيام بترجمة جيدة، لا يكفيه أن يفهم النص فحسب وإنما أن يكون أيضا قادرا على إبداع نص جديد ينقل المعنى بأسلوب يشبه أسلوب النص المترجم. فضلا عن ذلك يجب عليه أن يحترس من فهم مداولات بعض الكلمات أو المصطلحات أو المفاهيم بصورة غير صحيحة، تختلف عن المعنى المقصود أو أن يعدل العبارات بطريقة تشوه النص. فعند الترجمة مثلا من الإنجليزية إلى العربية، لابد من الانتباه إلى أن اللغتين تختلفان من حيث التركيب والبناء وأن الاكتفاء بنقل نفس التراكيب قد يؤدي إلى الركاكة. فلكل لغة من هاتين اللغتين أنماط من التراكيب خاصة بها ...

من الضروري، إذن، أن يتحرر المترجم من سيطرة النص الذي يترجمه بل أن يحاول خلق نص جديد يحمل نفس المعنى والأسلوب، وإن كان يختلف من حيث البناء والتركيب وترتيب الكلمات عن النص الأصلي. فمن المعروف أن التطابق الشكلي يتحقق عندما تتوفر في لغة الأصل ولغة النقل تشكيلات متعادلة ومرتبطة على نفس الصورة، أما عندما تختلف اللغتان في المبنى والأداء، ولا تتوفر في لغة

النقل العناصر البلاغية واللغوية المماثلة (مثلما هو الحال في العربية والإنجليزية) فلا بد أن يعمد المترجم إلى وسائل مختلفة للتعويض (إحلال أساليب بأساليب أخرى).

لهذه الأسباب، تعد مرحلة تنقيح النص وتدقيقه مرحلة هامة من مراحل الترجمة. وقد تحتاج إلى وقت طويل من أجل استيعاب النص، جميع جوانبه وملء القضايا التي أهملها المترجم في المراحل السابقة. ويفضل أن يراجع النص قبل طبعه شكلا ومضمونا وملاحظة مدى انسجام العبارات والتراكيب والألفاظ مع بعضها. وقد لا نبالغ إذا قلنا إنه من واجب المترجم أن يقيم صداقة حميمة بينه وبين صاحب النص بل أن يتقمص شخصيته، بمعنى أن يعيش مع النص الأدبي بعقله ووجدانه وروحه حتى يتمكن من نقل أحاسيس صاحبه وشعوره وما يقصده بدقة وأمانة.

مكتبة البحث:

1- محمد شاهين، "نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية"، عمان، مكتبة دار الثقافة، 1998، ص 22.
2- منصف الجزار، ص 111.
3- غيثري سيدي محمد، "الأسس المنهجية لترجمة النصوص الأدبية في ضوء الرؤى اللسانية" المترجم، العدد01، يناير- جوان، 2001.
4- أوجين نيدا، "نحو علم الترجمة"، ت ر: مهدي النجار.
5- بيترنيومارك، الجامع في الترجمة، ت ر، حسن غزالة.
6- محمد الديداوي، الترجمة بين النظرية والتطبيق.
7- Marianne LEDERER, La traduction aujourd'hui, Paris, Hachette, 1994, P B.
8- عبد الله عميد، م . س، 38- 39.